مبدأ الوجود وأثر القرآن والسنة فى إثباته

اعداد

الدكتوره: إنشاد محمد على عبيه

المدرس: بقسم العقيدة والفلسفة الإسلامية

كليه الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات - القاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مبدأ الوجود وأثر القرآن والسنة فى إثباته

هناك نداء في داخل كل انسان، هذا النداء إذا ترك بلا مؤثر خارجي، لوجد الإجابة التي ترضي هذا النداء، وذلك من خلال تأملات صادقة في قوله تعالي: **﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾** (١)

وهنا يجد الإجابة لهذا النداء الملح فى داخل الفطرة السليمة، التى لاتعتريها شائبة، وأيضا فى قوله تعالي:

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ (٢).

وفي هذا جاء الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ **«كل مولود يولد علي الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**.

ومن خلال هذه التأملات تضئ الفطرة الإنسانية السليمة التي بها يدرك المرء إدراكا مباشراً إن له ربا وإلهاً قوياً عظيماً ينظم معاشه ويرعاه.

وإن كل مافى الكون من إبداع ونظام، يدل علي أن مبدعه ومدبره واحد، ولو كان وراء هذا الكون أكثر من عقل يدبر، واكثر من يد تنظم، لاختل هذا التوازن واضطرب، فدل ذلك على وجود صانع واحد مبدع أوجده، مصداقالقوله تعالى **﴿لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾** (٣)

---

(١) سورة إبراهيم : آية ١٠
(٢) سورة الروم : آية ١٠
(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٢

وقوله ﴿ماتخذ الله من ولد وماكان معه من إله، اذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾ (١)

ولذا فإن سلامة الفطرة، وصفاء الإحساس الخفي وراء هذا النداء• من أهم الموصلات التي تريح، وتجيب على هذا النداء. بعد عناء البحث والتعب، وهنا يشعر الإنسان بالهداية بعد الحيرة، والاستقرار بعد التخبط، والإطمئنان بعد القلق، ويكون قد اهتدي إلي الفطرة التي فطره الله عليها، والأمثلة عل ذلك كثيرة من واقع الحياة التي توافق الشعور الفطري فعلاً بما هو كائن، أو مايجب أن يكون، بشكل لايقبل الزيادة عليه، أو النقصان منه، مهما تقدمت البحوث العلمية، والكشوف التجريبية.

وقد أجمع الباحثون فى تاريخ الأمم والأديان والحضارات، على أن الإنسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بإله، حتى قال أحد كبار المؤرخين: «لقد وجدت في التاريخ مدن بلا قصور ولامصانع، ولاحصون، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد».

فمهما كثرت العلوم والمعارف، فهناك أمور ليس لها دليل إلاّ فى انفسنا وشعورنا الفطري بها، مهما توصلنا، فمنها الهداية الفطرية الكونية، وهى التي عبر عنها أحد العلماء حين قيل له: متي عقلت؟ قال: منذ نزلت من بطن أمي، جعت فالتقت الثدي وتأملت فبكيت!!

وهذه الهداية الكونية لم تقتصر علي الإنسان فقط، بل شملت جميع المخلوقات علي الأرض من حيوان وطير وحشرات، وهي التي عبر عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿وأوصي ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾**(٢)

---

(١) المؤمنون: آية ٩١
(٢) النحل: آية ٦٨

وقوله تعالي: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سباق النهار، وكل في فلك يسبحون**﴾ (١)

فهذه الآيات توضح أن هذه الهداية منبثة فى اجزاء الكون كله: فى النبات الذي يمتص غذاءه من عناصر الأرض بنسب محددة، وقدر معلوم، وفى الكواكب التي يسير كل منها فى مداره الذي لايتعداه، وفق قانون لايتخطاه. وهنا أيضا نجد الجواب الشافي في جواب القرآن الكريم علي لسان سيدنا موسي لفرعون قال: ﴿ **فمن ربكما ياموسي . قال: ربنا الذي أعطي كل شئ خلقه ثم هدي**﴾ (٢)

وهناك أيضا هداية الحواس الظاهرة التى منحها الله سبحانه وتعالي للإنسان كالسمع، والبصر والشم والذوق وقد أشار إليه في قوله تعالي﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾ (٣)

والمتأمل فى الظواهر التى تعترى الإنسان وهو يواجه الحياة، يري عجبا، فالمعانى النفسية كالفرح والحزن والجوع والعطش واللذة والألم، التى تتغلب علي نفس واحدة. توقف العقل أمام تعليلها بطريقة صحيحة، ولن يكون إلا بالاعتراف بأن ذلك تقدير العزيز العليم.

وهنا نجد التعبير بالحواس والفطرة الإنسانية دون تعلم، فمنذ الجاهلية الأولي عندما كان الرجل يحزن لأمر من الأمور نجد الوجه ترتسم عليه علامات الحزن والضيق والكآبة، ويتضح ذلك فى قوله تعالي: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالانثي ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتواري من القوم من سوء مابشر به أيمسكه علي هون أم يدسه في التراب الاساء**

---

(١) يسن : آية ٤٠
(٢) طه : ٤٩–٥٠
(٣) النحل : آية ٧٨

مايحكمون﴾ (١) فهذه علامات كانت تظهر علي وجه الرجل عندما يبشر بالأنثي فهي لم تتعلم، ولكنها تلقائية فطرية في داخله.

وأما الرغبة في اشباع الجوع والعطش فالإنسان يشبعها بما سخر له الله الله سبحانه وتعالي مافي الكون اشباعاً لهذه الغريزة الفطرية، فتأمل قوله تعالى: **﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون.ليأكلوا من ثمره وماعلمته أيديهم أفلا يشكرون﴾** (٢) فهذه الصورة الموحية، التى نصبها الخالق سبحانه وتعالى علي أنها آية تدل عليه، هى في نفس الوقت ذات صلة عملية بالواقع. إذ بها يشبع الإنسان، بل والحيوان غريزته الفطرية، وهي فى حق الإنسان لحاجته، ذات صبغة أعمق، إذ تقتضي حق الشكر للواهب الرزاق، فى شكل شكر النعمة، الذى يمكن أن يترجم إلي عبادة قويمة حسب منهج الواهب. ونري هنا الترابط العميق بين العقيدة والعمل فى انسجام ظاهر.

ثم ألسنا نشعر في داخلنا بالعواطف والوجدانيات: كالحب والبغض والرغبة والكرهية؟

ان الشعور بهذه الأمور دليل علي وجودها، ولكن كيف هي موجودة؟

وهنا نحاول الإجابة من واقع الحياة. لان هذا الشعور مشترك بين جميع الناس، يقوم في نفس الطفل الصغير، والإنسان الكبير، والمتحضر، والبدائي، كل هؤلاء شعورهم واحد، فالحب الذي بسره صرنا نحب اطفالنا وازواجنا وآباءنا وآمهاتنا والأهل والأخوان والخلان والجيران وكل أخ لنا فى الإنسانية، بل الحيوان الضعيف الذي نأس عليه اذا رأيناه يفقد عشيره أو صغيره، حتى نكاد نبكي علية من الرحمة٠٠٠ كل هذا مصدره الفطرة السليمة.

وهناك أيضا هداية العقل بملكاته وقواه المختلفة، وهو أرقي من الهدايات

---

(١) النحل: آية ٥٨,٥٩

(٢)يسن : آية ٣٣,٣٥

السابقة، لأنه من الملكات العليا التي ميزت الإنسان عن غيره من الحيوانات. هذا العقل هو القادر من غير تعلم، ولا ارشاد، على إدراك وجود الله، بآثاره فى مخلوقاته، وإقامة الادلة الصادقة علي ذلك، ﴿**وفي انفسكم افلا تبصرون**﴾.

لأن هذه الفطرة السليمة التى منحها الله للإنسان هى التى تميل إلي ماتأمر به العقيدة الإسلامية، وماتدركه من الحق والخير والجمال، كلها تلتقي عند نقطة واحدة، لأن الحكمة كل الحكمة، هي فيما سلكه الشرع من مخاطبة الناس علي قدر عقولهم، دون مكاشفتهم بحقائق الحكمة وأسرارها. وان الخير كل الخير لهذه الفطرة، هو فى التزام حدود الشرع.

وأما إذا طمست هذه الفطرة السليمة، بشهوات النفس ومرض القلوب فإن الله سبحانه وتعالى لم يتركها سدي، ولكن أعطاها أيضا هداية الوحي، وهى التي تنير الطريق وتوضح خطأ العقل، وتنفي وهم الحواس وترسم الطريق إلي مالاسبيل للعقل أن يصل إليه وحده، وترفع الخلاف فيما لايمكن أن تتفق عليه العقول.

ولعل ذلك واضح في قوله تعالي: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم**﴾ (١)

﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾ (٢)

﴿**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل**﴾ (٣)

---

(١) البقرة: ٢١٣
(٢) الحديد: ٢٥
(٣) النساء: ١٦٥

وبعد هذه الرحلة في داخل الإنسان ذي الفطرة النقية السليمة، والذي يخشي علي مرآة فطرته الصافية، وشدة خوفه علي حسه المضيء، نراه يصل حتما إلي وجود خالق مدبر، عالم قدير آبدع هذا الكون ومنحه كل مافيه من ابداع واتقان.

ولكن قد يطرأ علي هذه الفطرة السليمة صدأ الشبهات أو غبار الشهوات. وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوي،أو التقليد الجاهل للأجداد والآباء، أو الطاعة العمياء للسادة والرؤساء. وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعجب فيظن نفسه شيئا يقوم وحده، ويستغني عن الله!!

ولاشك في أن هذا الموقف لايعبر عن فطرة سليمة او فكرة مستقيمة، بل هو من قبيل الإرتكاسات الخارجية فإنها في ذلك الحين تذبل ولاتموت، فاذا أصابها غرور الشهوات، وصدأ الشبهات، فإنها ماتلبس ان تزول هذه الغمامة المضللة، وتبرز الفطرة العميقة الكافية، وينطق الصوت المخنوق المحبوس، بحثا عن الحقيقة.

وهنا يكون الملبي لهذا الصوت المخنوق، البحث العلمي- بما فيه من استدلال نظرى، واختيار وتجربة فى المادة وأسرارها وكوامنها. بحيث يصل الباحث إلي حقيقة الإيمان بالله تعالي وصفاته، وأن يشهد بذلك إذا كان متجردا منصفا.

ولذا أشاد القرآن الكريم بالبحث المنصف في قوله تعالي: **﴿وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾** (١)

وقوله تعالي: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾** (٢)

وعلي هذا الباحث- حينئذ- أن يورد الحجج علي أقواله لاينقص منها

(١) سورة المجادلة :آية ١١
(٢) الزمر: آية ٧

شيئاً، شأنه في ذلك شأن القوي الواثق من قدرته علي دحض الشبهة، والرد عليها من اسهل طريق وأهونه رداً بسيطاً موجزاً ينبثق من نفس الأدلة البادية في الأنفس والآفاق علي الصورة التي أظهرناها. وإذا كان البحث فى التجربة واستخلاص النتائج، فلابد أن يكون فيها الدقة، التى توصل إلي العلم اليقيني. لان الله طلب في آياته أن يكون البحث بالحق والتجرد ويقول للباحثين كما جاء في سورة (سبأ): ﴿**وإنا أواياكم لعلي هدي أوفي ضلل مبين**﴾ (١)

وهذا الأثبات لابد أن يكون عن حق ويقين لا عن جهل وتعصب لأن القرآن الكريم ذم هؤلاء الذين يجادلون عن تعصب وجهل في قوله تعالي: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدي ولاكتاب منير**﴾(٢)

كما ارشدنا كتابنا الكريم إلي المنهج الأمثل في الخطاب فى قوله تعالي : ﴿**ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ (٣)

وقيمة هذا البحث العلمي لابد أن تكون منصبة علي إزالة الغشاوة والقشرة السطحية المضلله، كما قلنا لكي تبرز الفطرة السليمة.

لذا كانت مهمة البحث العلمي هي تحويل هذه الفطرة التي ذبلت إلي الفطرة التي فطر الله الناس عليها،وهي فطرة متسقة كل الإتساق مع فطرة الوجود الفسيح.

ولذا عني كتاب الله الخالد بالدعوة إلي توحيد الله، وافراده بالعبادة، والاستعانة والتوكل والإنابة. لابإثبات وجوده سبحانه، فإن هذا الوجود- على وجه عام- مسلم به ومفروغ منه، ولايجادل فيه إلا قلة مغمورة في كل عصر، لايقام

---

(١) سورة سبأ: آية ٢٤
(٢) سورة الحج: آية ٨
(٣) النحل : آية ١٢٥

لها وزن، ولاتصح لها دعوي. وهكذا وبعد هذه المسيرة مع الفطرة الإنسانية انتهينا إلي أن هناك فريقا استند إلي صوت الفطرة في أعماقه مصداقاً لقوله: **﴿افي الله شك فاطر السموات والأرض﴾**(١)٠٠ **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾** (٢)

ومن الباحثين من ناقش المسألة مناقشة علمية حقيقية صحيحة، تعتمد علي المنهج السليم، دون تعصب أو هوي فانتهي إلي أن الأضمن لحياته، ،مابعد حياته أن يؤمن بالله خالق ومدبر هذا الكون الفسيح.

ومنهم من اعتمد على مبدأ« السببية» الذي يقرر أن كل صنعة لابد لها من صانع، وكل حادث لابد له من محدث، وكل حركة لابد لها من محرك، وكل نظام لابد له وأن يكون وراءه منظم، وهذا المبدأ ثابت ثبوت الأوليات البديهية في العقول. ولئن كان وجود المبدأ من الأمور البدهية، المركوزة في فطرة الإنسان، لكنه لابد لنا من أن نسوق بعض البراهين النظرية للتوصل إلي صدق هذه الفطرة أولاً ولإزالة القشرة السطحية التي قد تتأثر بها من وقائع الإرتكاسات الخارجية.

والأن نسوق بعض الآدلة النظرية العقلية والنقلية، تسامي في الاستدلال ليتوصل إلي حل قضية الإيجاد والموجد علي أساس هذه المبادئ العقلية، فانثبت وجود الله واتصافه سبحانه بصفات الكمال، واثبت ان العالم من خلق الله، واثبت إمكان الخلق من العدم، من خلال ماقدمه العقل المؤمن لإثراء هذه القضية ليكون ذلك أولي في تدعيمها، حتي تتمكن من قلوب المؤمن، ،ولتكون حجة علي المعارضين.

وهنا يظهر أن القرآن الكريم بما أشار من نداء الفطرة- قد غذي كل ملكات الانسان بهذه القضية - وأن العقل الإنساني إذا استرشد به اهتدي إلي

---

(١) إبراهيم: آية ١٠
(٢) الروم : آية ٢٠

صراط مستقيم، وأما إذا أعرض واتبع الهوي فإن عليه ماحمل.

الدليل العقلي:

إن كل حقيقة عقلية يقررها العقل، اثباتا او نفياً، لابد أن تتردد بين ثلاثه أحوال:

١- الإمكان.

٢- الاستحالة.

٣- الوجوب.

وعلي ذلك فكل شئ اما أن يكون ممكن الوجود، واما أن يكون مستحيل الوجود، واما أن يكون واجب الوجود، والعقل يحكم، بان هذا العالم من نوع (الممكن).

والممكن هو المحتاج في وجوده إلي من يوجده إذا لابد له من مرجح، يرجح وجوده علي عدمه، ويخرجه من الإمكان إلي الوجود الفعلى.

وهذا الموجد، لايجوز أن يكون ممكنالوجود، لأن معني ذلك أن يكون هو الذي أوجد نفسه، وبذلك يصبح مفتقراً إلي موجد، وهذا يؤدي إلي الدور والتسلسل وكل من الدور والتسلسل باطل فبطل ماأدي اليهما فلابد، إذاً، ان يكون هذا الموجد(واجب الوجود) وهذا الموجد الواجب الوجود لايجوز أن يكون من ذات الممكن، لانه لو كان من ذاته لأصبح ممكنا، وهذا تناقض مستحيل عقلاً، لأنه يجمع في الشئ الواحد بين الممكن والواجب.

كما أنه يؤدي إلي الدور بمعني توقف كل من الأمرين علي الآخر وعلي ذلك أما أن يدور الأمر أو يتسلسل في هذا الممكن، كما أن الممكن مركب من اجزاء، وكل مركب حادث بداهة.

فالعالم، بما فيه، متغير تغيراً مستمراً، من حالة إلي حالة إذا لايمكن أن تكون له حاله ازليه قديمة، لأنها لو كانت كذلك، لما جاز أنيطرأ عليه التغير والتبديل.

وحيث اننا اثبتنا ان التسلسل غير صحيح لأنه مستحيل عقلاً حيث ان هذا المتغير لم يكن له أول مره واقع.

وإذا لم يكن له واقع، لايكون له وجود، لان الوجود يشمل التحقق والواقع الفعلى، ومتي فقد هذا التحقق، فقد وجوده.

فالعالم المتغير، إذاً، لم يكن موجوداً، ثم وجد.

فالعالم، اذاً، حادث. (١)

كما أن فيه من النظام، والإتقان والإبداع والأحكام، ماوصل به الي حد الكمال، فلابد إذن أن يكون لوجوده موجد منتهي في القدرة والحكمة، وكل صفات الكمال.

وهذه الصفات كلها فى الموجد واجب الوجود هو الله سبحانه وتعالي.

وبعد هذا العرض ثبت لنا إن هذا العالم أوجده خالق مدبر، هو واجب الوجود، غير مفتقر إلي من يوجده، أو يحفظ له وجوده، بل متصف بكل صفات الكمال.

هذا استدلال العقل علي قضية وجود الله سبحانه وتعالي من خلال بديهيات تفرض نفسها من غير تفكير فيها، وكأن العقل هنا يعتمد على استنتاجه من خلال ذاته ،وكأنه يقول: «إنني وصلت إلي ذلك من خلال مامنحه الله لي من نعمه العقل».

والدليل العقلي الذي قدمناه، هو مجهود مشترك بين ذوي العقول من

---

(١) انظر الشيخ محمد عبده: رسالة التوحيد ص ٢٢ طبعة القاهرة ١٩٦٦

المؤمنين، سواء أكانوا متكلمين أم فلاسفة، وليس بينهم جميعاً من خلاف إلا في شكل الدليل وصورته، يقول الباقلاني مصوراً رأي المتكلمين في هذه القضية «لابد لهذا العالم المحدث المصور من محدث مصور. والدليل علي ذلك أن الكتابة لابد لها من كاتب، ولابد للصورة من مصور، وللبناء من بان، وأنا لانشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت لامن كاتب، وصياغة لا من صائغ وحياكه لا من ناسخ. فوجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، إذ كانت إلطف وأعجب صنعاً من سائر مايتعذر وجوده لامن صانع من الحركات والتصورات.

ويدل علي ذلك أيضا علمنا بتقدم بعض الحوادث على بعض وتأخر بعضها عن بعض، مع العلم بتجانسها. ولايجوز أن يكون المتقدم منها متقدماً لنفسه وجنسة لأنه لو تقدم لنفسه، لوجب تقدم كل ماهو من جنسه. وكذلك لو تأخر المتأخر منها لنفسه وجنسه، لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر.

وفى العلم بأن المتقدم من المتماثلات لم يكن بالتقدم أولي منه بالتأخر دليل على أن له مقدما قدمه وجعله فى الوجود مقصوراً علي مشيئته.

ويدل علي ذلك أيضا علمنا بصحة قبول كل جسم من أجسام العالم لغير ماحصل عليه من التركيب، وصحة كونه المربع منها مدوراً، وكون المدور مربعاً، وكون ماهو بصورة بعض الحيوان بصورة غيره، وانتقال كل جسم عن شكله إلي غيره من الأشكال.

فلايجوز أن يكون ماأختص منها بشكل معين مخصوص إذ اختص به لنفسه أو لصحة قبول له. لان ذلك، لو كان كذلك، لوجب قبوله لكل شكل صحيح قبوله له في وقت واحد، حتي يجتمع فيه جميع الأشكال المتضادة. وفي فساد ذلك دليل علي بطلان هذا القول ووجوب العلم بأن كل ذي شكل منها إذا

حصل كذلك بمؤلف ألفه وقصد قصد كونه كذلك.

والدليل علي أنه ليس بفاعل لنفسه أن منه الموات والأعراض التي لايصح أن تحيا، والفاعل لايكون إلا قادراً. ولأن الحي منه كان مواتا في بدء أمره وجاهلاً بنفسه وكيفية تركيبه، ولن يجوز أن يصنع المحكمات إلا حي قادر عالم.

وليس يجوز أن يكون كل شئ منه فعل غيره، لأن المخلوق لايفعل من غيره شيئا.

وأيضا فانه لوصح أن يفعل المحدث غيره وماهو مثل له، لصح أن يفعل نفسه، إذا كانت بمعني ماهو فعل له ومن جنسه. ولما استحال ذلك لما تقدم، صح أن لجميع العالم خالقاً غيره ليس منه.

ولايجوز أن يكون صانع المحدثات مشبها لها. لأنه لو أشبهها لكان لايخلو أن يشبهها في الجنس أو فى الصورة. ولو أشبهها فى الجنس لكان محدثا كهي ولكانت قديمة كما أنه قديم.

لأن المشتبهين هما ماسد أحدهما مسد صاحبه وناب منابه. ودليل ذلك أن السوادين المشتبهين يسدان في المنظر مسداً واحداً، وكذلك البياضان والتأليفان. ولو أشبههما فى الصورة والتأليف، لم يكن شيئاً واحداً، ولوجب أن له مصور جامع لان الصورة لاتقع إلا من مصور لما قدمناه من قبل ولوجب أن يكون من جنس الجواهر المتماسة، وأن يكون محدثا كهي وذلك محال.

ولايجوز أن يكون فاعل المحدثات محدثاً. بل يجب أن يكون قديما،والدليل علي ذلك أنه لو، كان محدثا لاحتاج إلي محدث، لأن غيره من الحوادث إنما احتاج الى محدث من حيث كان محدثا.

وكذلك القول في محدثه إن كان حادثا في وجوب حاجته إلي محدث

آخر. وذلك محال، لأنه كان يستحيل وجود شئ من الحوادث، إذا كان وجوده مشروطا بوجود مالاغاية له من الحوادث شيئا قبل شئ. وهذا هو الدليل علي إبطال قول من زعم من أهل الدهر أن الحوادث لا أول لوجودها.

وليس يجوز أن يكون صانع العالم اثنين ولا اكثر من ذلك. والدليل علي ذلك أن الأثنين يصح أن يختلفا ويريد أحدهما ضد مراد الآخر. فلو اختلفا وأراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته، لوجب أن يلحقهما العجز أو واحداً منهما. لأنه محال أن يتم مايريد ان جميعا لقضاء مراديهما، فوجب أن لايتما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر فيلحق من لم يتم مراده العجز، أو لايتم مرادهما فيلحقهما العجز. والعجز من سمات الحدث، والقديم لايجوز أن يكون عاجزاً(١)

ولقد ظهر أيضا بشكل واضح عند «ابن سينا» كمثل ظاهر لفلاسفة الاسلام - كما ظهر عند **«ديكارت» و «لينبتز»** من الفلاسفة الغربيين المحدثين.

وهناك صورة أخري للأدلة العقلية التي سيقت فى هذا المقام. لعل أظهرها ماذكره ابن سينا. وأطلق عليه اسم «دليل الغائبة» ويعني أن عناصر الكون كلها في وجودها وفي علاقاتها، انما تدل علي أن هناك غائبة كونية، تبرز معني الأحكام والتدبير من لدن الخالق سبحانه وتعالي، وهي بيان واضح لقوله تعالي «وكل شئ عنده بمقدار» **ولابن سينا** نص مباشر في هذه القضية يقول فيه: «إن في الطبيعة غائبة، وإن كل موجود فله هذه العلل يجب أن تكون متناهية... إلي غاية لاغاية بعدها» (٢)

كما قدم «ابن سينا» في هذا المقام دليلاً آخر أطلق عليه «دليل العناية»

---

(١) الباقلاني (التمهيد - منشورات جامعة الحكمة في بغداد المكتبة الشرقية بيروت طبعة سنة ١٩٥٧ من ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥.

(٢) الإشارات ج١ ص ٢١٤

ويعني به أن العناية البادية في عناصر الكون كله، بحفظه وتلأئم جريانه وعناصره، وسيره على سنن قويمة لاتتبدل ولاتتحول. كل ذلك يدل علي أن له خالقا موجدا،هو الله رب العالمين» (١)

وكان نصه المباشر في هذه القضية «يعتمد علي الطريق الذي نبه إليه الكتاب العزيز، ودعا الكل من بابها؟ فاذا استقرءت الكتاب العزيز وجدتها تنحصر فى جنسين، أحدهما: طريق الوقوف على العناية. وهذه الطريقة تنبني علي أصلين، أحدهما: أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان، والأصل الثاني، ان هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، اذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق، فاما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار، والشمس والقمر، لوجود الانسان.

وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه أيضا هو الأرض، وكذلك تظهر موافقة كثير من الحيوان له، والنبات والجماد، وجزئيات كثيرة مثل الأمطار والأنهار والبحار وبالجملة الأرض والماء والنار والهواء.

وكذلك ايضا تظهر العناية في أعضاء البدن، وأعضاء الحيوان، أعني كونها موافقة لحياته ووجوده، وبالجملة فمعرفة ذلك - أعني منافع الموجودات داخله في هذا الجنس، ولذلك وجب علي من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع الموجودات) (٢)

ولايختلف «دليل الاختراع» الذي ساقه أيضا فى هذا المقام عن دليل «الحدوث» الذي قال به المتكلمون في اثبات وجود الله. فيقول والطريقة الثانية:

---

(١) انظر د/ محمد يوسف موسى. بين الدين والفلسفة ،في رآى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط ص ١٥٢ ط دار المعارف القاهرة عام ١٩٥٩

(٢) الكشف عن مناهج الادلة ص ٦٥، ٦٦

مايظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة فى الجماد، والادراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه دليل الاحتراع) (١).

إما دلالة الاختراع، فيدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السموات ولهذه الطريقة تنبي علي أصلين موجودين بالقوة فى جميع فطر الناس، أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعه وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالي: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**﴾ (٢)

فانا نري أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعا ان ههنا موجداً للحياة ومنعما بها وهو الله تبارك وتعالى، وأما الموات فنعلم من قبل حركاتها التي لاتغتر انها مأمورة بالعناية بما ههنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع، فيصبح من هذين الأصلين ان للموجود فاعلا مخترعاً له، وفى هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات، ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة.

الله حق معرفته ان يعرف جواهر الأشياء ليقف علي الاختراع الحقيقي فى جميع الموجودات، لان من لم يعرف حقيقة الشئ لم يعرف حقيقة الاختراع وإلي هذه الإشارة بقوله تعالي: ﴿**أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شئ**﴾

وكذلك أيضا من تتبع معني الحكمة فى وجود موجود- أعني معرفة السبب الذي من أجله خلق، والغاية المقصودة به - وكان وقوفه علي دليل العناية اتم، فهذان الدليلان هما دليل الشرع».

---

(١) انظر د/ محمد يوسف موسى بين الدين والفلسفة ،في رآى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط.

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة ص ٦٦

(٣) سورة الحج آية ٧٣

دليل التدبير والاحكام:

الناظر إلي هذا الكون الفسيح لابد أن يدرك بداهة أن كل حقيقة من حقائقه المادية من كهربية ومغناطيسية وغيرها وماعرفنا من آثارها كالجاذبية الموجودة وخواص كل منها.

وبملاحظتنا أيضا للأمور التي تدخل في نطاق الحس كالملآئكة والجن وكيفية تكوينها وأعراضها وصفاتها.

من خلال هذه الأمور ندرك أيضا أنه يمكن أن تكون كل هذه الموجودات علي صورة غير الصورة التي هي عليها، وشكل غير الشكل الذي هي عليه والأمثلة علي ذلك كثيرة.

فما المانع مثلاً أن يكون الإنسان على غير هذا الوضع القائم عليه بأن يكون أطول أو أقصر، أو اكبر أو اصغر. ومالحكمة فى ان الله سبحانه وتعالي منح الإنسان العقل، ولم يمنحه للحيوانات، وما الحكمة في اعطائه اياه النظر والنطق، فإذا كانت الإجابة بأن حكمة الله سبحانه وتعالي أنه لايخلق شيئا عبثا، ولايترك شيئا سدي، ولايفعل فعلاً أو يشرع شرعاً إلا لحكمه، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها. وذلك لأن الحكمه تقتضي ذلك وإلا أختل نظام هذا العالم وفسدت النتائج.

قلنا: الحكمه صفة الحكيم. وذلك مصداقاً لما شهد به كل من على الأرض والملائكه فى الملأ الأعلي في قوله تعالي ﴿**قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا، أنك أنت العليم الحكيم**﴾ (١)

وكما فى قوله تعالي ﴿**إلم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن**

(١) البقرة: آية ٣٢

الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدي ولاكتاب منير ﴾ (١)

«كما أن هذه الآيات توضح وتظهر مافى هذا الكون من حكمة وتدبير فى السموات والشمس والقمر والنجوم والسحاب، وفى البحار والأنهار والمعادن والدواب ومالايحصي فخلق العالم علي هذه الصورة نعمة، حيث أن هذا الخلق اما الحيوان، واما غير الحيوان. فما ليس بحيوان نعمه على الحيوان، والحيوان نعمه من حيث أن إيجاده حياً نعمه عليه .لأنه لو لم يكن كذلك لما صح الانتفاع إذن فخلق هذا العالم مقصود به النعمة والحكمة، وأنه لم يخلق عبثاً، لان العبث لايجوز عليه، كما أن هذه الحكمه والنعمه لايجوز أن تكون راجعة إلي الله سبحانه وتعالي لأنه غني غير محتاج لنفع، فلم يبقي إلا أنه خالق هذا ليعود النفع إلي المخلوق.

وقد بان من هذه الآدلة على وجود الصانع انها منحصرة فى هذين الجنسين دلالة العناية، ودلالة الاختراع، وتبين ان هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعني بالخواص العلماء(٢).

والحق الذي يسعي الباحث إلي نيله وإدراكه أن الآدلة العقلية التي سيقت فى هذا المقام. فما ذكرناه ومالم نذكره. وكذا ماتوحي به التجارب العلمية في المختبرات والمعامل، في البحث عن السنن والقوانين التى تحكم عالم المادة، أقول: كل هذه الأنواع من الأدلةو يمكن أن يكون لها أصول في «النقل» يستطيع الباحث بالمقارنة والتحليل أن يتأكد أن آيات الله البينات المنثورة فى كونه العظيم، والتي أشار اليها قوله تعالي «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين أنه الحق..» إنما تتوافق تماما مع ماسطره الخالق جل وعلا فى آيات القرآن الكريم، وليس هناك ماهو أوضح من ذلك إذ الكون بكل عناصره مجلي صفاته

---

(١) لقمان: آية ٢٠

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٤

العليا، فهو مصدره وأصله، والقرآن الكريم وصيه الذي خاطب به عباده، وهذا ماسنقف معه الآن.

الآدله النقلية:

هنا قضية هامه لابد من الإشارة إليها. هي أن القول بأدلة نقلية ليس إلا جريا وراء الاصطلاح الذي قال به أسلافنا، وإلا فالآدلة هذه انما سيقت ليخاطب بها العقل، حتى ولو كانت في ظاهرها شيئا حسيا، والعقل هو الذي يقرر الدليل علي وجه مقبول، ألا تري أن قوله تعالي كدليل علي الوحدانية **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** دليل عقلي، وإن كان الوحي هو الذي أتي به، وعلي هذا فالعقل هو الذي يعرف مافي الدليل من ارتباط بالمدلول وسنحاول بالتأمل إثبات واجب الوجود من خلال المنهج الذي دعا إليه القرآن، ذلك الذي يحث الإنسان على التأمل في ذاته، حيث أنه لم يخلق من غير شئ، ولم يخلق حوله ذرة فى الأرض أو السماء.

والدليل على ذلك قوله تعالي **﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض ﴾**(١)

وبهذا التأمل فى الذات وفي الكون بالبحث والنظر الدقيق سوف يبرهن على وجود الذات الالهية. كما فى قوله تعالي **﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾** (٢)

﴿أفلا ينظرون إلي الأبل كيف خلقت، وإلي السماء كيف رفعت، وإلي الجبال كيف نصبت، وإلي الأرض كيف

---

(١) الطور : ٣٥ ، ٣٦

(٢) يونس : آية ١٠١

سطحت﴾(١).

﴿أفرأيتم ماتمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (٢)

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق﴾ (٣).

هذه الآيات ومامثلها تدل على أن الكون بجميع اجزائه، وما اشتمل عليه من جمال الصفة، ودقه الإتقان له صانع هو الله سبحانه وتعالي.

كما يظهر من ذلك أيضا أن هذه الآيات هي الأقرب إلي استلهام اكثر الناس، فى ان تدرك بالفطرة، أن دلالة الصفة عل« صانعها امر مركوز في أول الفطرة الانسانية .

ومن ذلك يتضح لنا أن تأكيد القرآن الكريم فى كثير من الآيات، وتنوع العرض في اطاره العام يبين لنا أن الآدلة النقلية هي الطريق الواضح الجلي.

وفي مقابلة هذه الآدلة من الآيات هناك آدلة أخري تتخذ إلي طبيعة الوجود اساسا لها فى الوصول إلي معرفه الله سبحانه وتعالي وهذا مايعرف بالدليل «الانطولوجي» مثل قوله تعالي:

﴿أولم يكف ربك أنه على كل شئ شهيد﴾ (٤)

ونستنتج من ذلك ان هذه الفطرة لن تظفر بطمأنينة النفس فى حل لغز الوجود إلا من خلال هذا الهدي السماوي الذي انزله الله سبحانه وتعالى على يد نبيه الكريم.

وفى هذا المقام يقول الفخر الرازي بعد أن حصل أفكار المتقدمين

---

(١) سورة الغاشية ١٧ ، ٢٠

(٢) سورة الواقعة آية ٥٨ ، ٥٩

(٣) سورة فصلت آتية ٥٣

(٤) سورة فصلت آتية ٥٣

والمتأخرين وطاف بالمعارف الفلسفية والكلامية لعصره: «لقد تأملت الكتب الكلاميه، والمناهج الفلسفيه، فما رأيتها تروي غليلا. ولاتشفي عليلا. ورأيت إقرب الطرق طرق القرآن... ومن جرب مثل تجربتى، عرف مثل معرفتي» (١)

الدليل من السنة:

ماأجاب به الرسول ﷺ المسترشدين وطالبي الحق، من أهل اليمن حين قالوا: جئناك لنتفقه فى الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شئ قبله(٢) وفي رواية: «ولم يكن شئ معه» وفي رواية: (غيره): «وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض» وفي لفظ «ثم خلق السموات والأرض». فقوله (كتب فى الذكر) يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالي: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر**﴾(٣)

وفي هذا الحديث إخبار عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله فى ستة أيام ثم استوي على العرش، كما أخبر القرآن بذلك فى غير موضع، وفى صحيح مسلم «عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله تعالي مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حينئذ على الماء».

وفى هذا الحديث إشارة إلي حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعني المأمور، أي الذي كونه الله بأمره، وقد أجابهم النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود، كما أخبرهم عن خلق السموات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل السموات والأرض.

---

(١) في كتابه (أقسام اللذات)

(٢) الأنبياء آية ١٠٥

وأيضا فانه قال: «كان الله ولم يكن قبله» وقد روي (معه) وروي (غيره)

والمجلس كان واحدا، فعلم أنه قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعني، ولفظ «القيل» ثبت عنه في غير الحديث. ففي حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عني النبي ﷺ: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ» الحديث واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر، ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ القيل، كالحميدي والبغوي وابن الأثير. وإذا كان كذلك لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق.

وأيضا: فانه يقال« كان الله ولم يكن شئ قبله أو «معه» أو «غيره» وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ». فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو وبثم. فظهر أن مقصوده إخباره اياهم ببدء خلق الأرض ومابينهما، وهى المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء خلق ماخلقه الله قبل ذلك، وذكر السموات والأرض بما يدل علي خلقها. وذكر ماقبلها بما يدل علي كونه ووجوده (١)

ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وهي مافي الأعضاء من سلامة (وباطنة) وهي مافي القوي، ألا تري أن العين والأذن شحم وغضروف ظاهر، واللسان والأنف لحم وعظم ظاهر، وفي كل واحد معني باطن من الإبصار والسمع والذوق والشم، وكذلك كل عضو، وقد تبطل القوي ويبقي العضو قائماً، وكل هذا يوضح النعم الآفاقية، والنعم الأنفسية (٢)

---

(١) شرح العقيدة الطماوية : ١٣٩:١٤١ـ الطبعة الاولى ١٣٩٣ه - المكتب الإسلامي- بيروت .

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للأمام محمود بن عمر الزمخشري ٥٢٨ هـ . جـ٣ ص ٤٩٨ : ٤٩٩ ، دار الكتاب العربي - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للامام فخر الدين الرازي - المجلد الثالث عشر ٢٥ - ٢٦ ص ١٥٣ (بتصرف) دار الفكر

اذن هذه العناية والنعم انما هي تدبير من الله سبحانه وتعالي وتخصيص موافق للحكمة والإبداع والإتقان، لأنه مدبر كل أمر، أحاط بكل شئ علما، وأحصي كل شئ عددا، ووسع كل شئ رحمة، خلق فسوي، وقدر فهدي، يسمع ويري، له الخلق والأمر، بيده ملكوت كل شئ، يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويرزق كيف يشاء بغير حساب.

فكل هذه الأمور ثابتة لاتتخلف أبداً.

فاذا تأملنا فى قوله تعالي﴿ **ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلي أجل مسمي وأن الله بما تعملون خبير**﴾ (١)

فهذه آيضا من نعم الآفاق، حيث جعل إيلاج زمان الليل في النهار أي يجعل زمان الليل موجوداً فى النهار وذلك لأن الليل إذا كان مثلا اثنتي عشرة ساعة ثم يطول يصير الليل موجودا في زمان كان فيه النهار وهذا محال.بل أنه أمر يتجدد كل فصل، بل كل يوم حيث أن الليل والنهار أفعال والأفعال في الأزمنة لأن الزمان ظرف، فقولنا الليل في زمان النهار أقرب من قولنا زمان اليل في النهار لأن الثانى يجعل الظرف مظروفاً. وإذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى ﴿**يولج الليل فى النهار**﴾أي يوجده في وقت كان فيه النهار، والله تعالى قدم لنا ﴿**يولج الليل فى النهار**﴾ أي يوجده فى وقت كان فيه النهار، والله تعالي قدم إيجاد الليل علي إيجاد النهار في كثير من المواضع كما فى قوله تعالي ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين**﴾ وقوله ﴿**وجعل الظلمات والنور**﴾ وقوله ﴿**واختلاف الليل والنهار**﴾ ومن جنسه قوله ﴿**خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ وفي ذلك حكمة. وهي أن الظلمة قد يظن

---

(١) سورة لقمان آية : ٢٩

بها أنها عدم النور والليل عدم النور والليل عدم النهار والحياة عدم الموت إذ في الأزل لم يكن نهار ولانور ولاحياة لمكن ولايمكن أن يقال كان فيه موت أو ظلمة لأن الملكة في داخل الإنسان لاتسأل عن الشئ المألوف. ولكنها تسأل عن الشئ الغير مألوف فأنت إذا رأيت شخص لايبصر فهنا يمكن أن تسأل فما السبب فى عدم الإبصار ولكن لايحدث العكس لايمكن أن تشير إلي حجر أصم وتقول لماذا لايبصر، أو لايسمع لأن هذا الأمر مألوف - وهكذا ملكة النفس فهي لاتطلب ماليس له سببا، ولكن النفس تطلب مايثبت خلاف المألوف فهي تطلب له سببا، ولذلك كان كذلك قدم الله تعالي ماتطلب الملكة سببه وهو الليل الذي هو على وزان العمي ،والظلمة والموت لكون كل واحد طالباً سببه ثم ذكر بعده الأمر الآخر (١)

كما أن كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه. تعطيه في وقت معلوم وذلك فيما نري أن الشمس تسير إلي آخر السنة، والقمر إلي آخر الشهر. وكما أن جريانهما لاينقطع، وأيضا في تعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين فى فلكيهما كل ذلك علي تقدير وحساب.

حيث أن الجري مختصا بإدراك أجل مسمي ، فالشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر فكل ذلك مختص بعجائب قدرته وحكمته.

كل هذه الصور والامثلة. والانظمة الحكيمة في هذا بقدرة الله تعالي هذه القدرة التي تدل علي الحكمة البالغة في تدبير آمر المعاش للإنسان والتى يجب أن يحمد الله عليها ليلاً ونهاراً، لأن هذه العظمه والإبداع والإتقان لايقدر عليها إلا الله مصداقاً لقوله ﴿**قل أرايتم إن جعل الله عليكم سرمداً إلي يوم القيامة**﴾ (٢) فيتضح من هذه الآيات أن الليل والنهار نعمتان يتعاقبان علي

---

(١) الفخر الرازي - بتصرف ص ١٦٠ ، ١٦١

(٢) القصص : آية ٧٢

الزمان، وذلك لإن الإنسان في الدنيا محتاج إلي إشباع حاجاته ورغباته، وهذه الأمور كلها محتاجة إلي ضوء النهار، فيجتمع الناس وتكون المعاملات وإشباع الرغبات،وبعد هذا العناء يكون الإنسان فى حاجة إلي الراحة والسكون فجعل له الليل إذا لابد منهما الاثنين معاً.وكأن هذه الأمور مترتبة بعضها على بعض فالليل للسكون، والنهار لابتغاء فضل الله، ولأداء الشكر على المنفعتين معاً.

وإن كان هناك بعض الناس يقومون بهذه الأمور يعكس ماهى عليه إلا أن الأفضل لهم والأليق أن يؤدي كل منهما على ماذكره المولي جلا وعلا.

وخلاصه القول أن الله سبحانه وتعالي يبين في هذه الآيات أن الصور والأنظمة والأوضاع التى نشاهدونها فى الكون، إنما هي فضل من الله سبحانه وتعالي، ومن الممكن أن تتغير وتتبدل، بل تتحول من الوجود إلي العدم وينجم عن ذلك الأضرار الجسيمه بحياة البشر.

أليس من الممكن أن يبعث الله بزلزال فتفور هذه الأرض بما عليها.

أليس من الممكن آن ينزل الله الماء من السحاب، مالحاً كدراً أجاجاً، غير صالح لرى الإنسان أو النبات.

إذا كان كل ذلك من الممكنات، فلابد أن يكون واضعها ومنظمها آله حكيم لايخلق شيئا عبثا، ولايترك شيئا سدي، ولايفعل فعلاً، أو يشرع شرعاً إلا لحكمة.

كل هذه الحقائق تجلت للذين ينظرون بأعين بصائرهم، ويسمعون بآذان قلوبهم، فإذا هم يرون الوجود كله محرابا، والعوالم كلها ساجدة خاشعه، شاهده بعظمته ناطقه بآيات علمه وحكمته، دائم التسبيح والثناء على العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم :﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وأن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم، أنه**

كان حليما غفوراً(١)

وبعد ...

فتلك خلاصة مركزة لسياحة فكرية روحية، خلال معطيات كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم. وماأفرزه العقل الإنساني في قضية إثبات «مبدأ الوجود» أردت من خلالها جمع مايمكن فهمه منها في صعيد واحد، يسهل فهمه وتناوله، وينفع من يعني نفسه بقراءة هذا الموضوع فى بساطة ويسر غير مخلين بالمرتكزات الأساسية له فإن كنت قد أصبت فبتوفيق من الله. وإن كنت قد قصرت. فحسبي أني بذلت قصاري جهدي.

والله من وراء القصد يقول الحق ويهدي السبيل.

---

(١) سورة الأسراء آية ٤٤

أهم المصادر

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : السنة النبوية المطهرة (صحيحا البخاري ومسلم)

ثالثا : التفسير.

(١) الرازي مفاتيح الغيب ط سنه ١٩٨٥ م

(٢) الزفخشري الكشاف ط سنه ٥٢٨ هـ

رابعا: الكتب:

(٣) ابن ابي العز الحنفي(شرح العقيدة الطحاوية ط ١٣٩٢هـ

(٤) ابن سينا: الاشارات والتنبيهات ط ١٣٢٥ هـ

(٥) ابن رشد: الكشف عن مناهج الآدلة في عقائد الملة القاهرة ١٩٣٥م

(٦) الباقلاني : التمهيد بيروت ط ١٩٥٧ .

(٧) الرازي : اقسام اللذات.

(٨) محمد عبده : رسالة التوحيد ط القاهرة سنه ١٩٦٦ .

(٩) محمد يوسف موسي : بين الدين والفلسفة ط القاهرة سنه١٩٥٩

وهناك مراجع أخري لم أشأ ذكرها اكتفاء بما ذكر.